

الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد ..

الحديث العاشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له " » رواه مسلم

الشرح..

هذا الحديث العاشر من الأربعين للإمام النووي وهو من جوامع كلم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد جمع فيه صلوات الله وسلامه عليه جملة من آداب الدعاء وشروطه ، وذكر فيه عليه الصلاة والسلام جملة من موانع قبول الدعاء ؛ ولهذا فحريٌّ بكل مسلم يرجو أن يُجاب دعاءه وأن يتحقق رجاءه أن يتأمل في هذا الحديث العظيم ، وما ذكر فيه النبي عليه الصلاة والسلام من ضوابط مهمة ينبغي على المسلم أن يراعيها ليكون مستجاب الدعاء ،

وقد صدر النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحديث بقوله " إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً " ؛ والطيب إسم من أسماء الله الحسنى قال الله تعالى ﴿ ولله الأسماء الحسنى ﴾ فمن أسماء الحسنى الطيب ، وهو اسم دال على صفة الطيب ، وأن الطيب وصفٌ له جل وعلا ، وأن الطيبات كلها له جل وعلا كما يقول المسلم في تشهده " التحيات لله والصلوات والطيبات " أي لله جل وعلا فالطيبات كلها لله ؛ إسمه جل وعلا الطيب وصفاته كلها طيب ، وأفعاله جل وعلا كلها طيب ، وشرعه طيب وحكمه جل وعلا طيب ، وهو جل وعلا طيب لا يقبل إلا طيباً ؛ لا يقبل من الأعمال

والنفقات إلا الطيب ؛ فالطيبات كلها لله جل وعلا ؛ ولهذا إذا عرف المسلم ربه جل وعلا بهذا الاسم وبهذه الصفة فإن من عبودية المسلم لله جل وعلا بهذا الاسم أن لا يفعل إلا الطيبات وأن لا يطعم إلا الطيبات لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وقد قال أهل العلم إن لكل اسم من أسماء الله جل وعلا عبودية تختص به .

وهذا الحديث ذكر فيه النبي عليه الصلاة والسلام اسم الله وذكر العبودية التي تختص به ؛ قال " إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً " أي لا يقبل من الأعمال والأقوال إلا الطيب ولا يرضى لعباده أن يطعموا ويأكلوا ويشربوا إلا من الطيب ، فالطيبُ اسمه والطيب صفته ، وهو جل وعلا لا يقبل إلا طيباً .

ومعنى اسمه جل وعلا الطيب أي المنزه ؛ لأنه من الطيب الذي هو التنزه والبراءة والسلامة من النقص والعيب فهو من أسماء التنزيه ؛ لأن أسماء الله تبارك وتعالى باعتبار ما تدل عليه من معاني تنقسم إلى أقسام ؛ ومن تلك الأقسام أسماء حسنى لله تدل على التنزيه مثل : القدوس والسلام والسبوح والطيب ؛ فالطيب من أسماء التنزيه دال على تنزه الله تبارك وتعالى وتقديسه سبحانه عن النقائص والعيوب وعن ما لا يليق به .

" لا يقبل إلا طيباً " .. هذا فيه أن العمل الذي يتقرب به المسلم إلى الله جل وعلا لا يكون مقبولاً إلا إذا كان طيباً ؛ فالله طيب لا يقبل إلا طيباً .

والطيب من الأعمال هو العمل الصالح الذي لا يبتغى به إلا وجه الله جل وعلا ، والطيب من المكاسب هو المال الذي أحله الله سبحانه وتعالى لعباده ، وأباحه لهم .

" وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ " ..

فأمر المرسلين وأمر المرسل إليهم بأكل الطيبات ؛ وهذا يتضمن ويفهم منه النهي عن أكل الخبيث وأن أكل الخبيث محرم لا يحل للمسلم أن يأكل خبيثاً ؛ فالمؤمن طيب لا يأكل إلا طيباً ولا يدخل في جوفه إلا طيباً ، لا يدخل في جوفه من الطعام والشراب ولا يضع على بدنه من اللباس إلا الطيب ، وكل طعام أو شراب أو لباس لا يكون طيباً فالمؤمن يتنزه عنه ويتحاشى من فعله ولا يطعم إلا طيباً ولا يشرب إلا طيباً ولا يغذي بدنه إلا بالطيب ولا يلبس إلا الطيب .

وفي قوله " إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين " .. فيه تنبيه إلى الاقتداء بالرسول والاهتداء بهديهم ؛ ﴿ أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ﴾ ؛ فأولئك هم قدوة العالم وأسوة الناس ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ ؛ فذكر جل وعلا أولاً النموذج الأعلى والقدوة في هذا الباب ؛ وهم الرسل الذين على منهاجهم يسار .

فإن الله جل وعلا أمر الرسل بأكل الطيبات وأمر أتباع الرسل بأكل الطيبات ، وبعث الرسل ليحلوا لهم الطيبات ويحرموا عليهم الخبائث ؛ ولهذا يجب على كل أتباع الرسل أن يكونوا كذلك ، ويجب على أمة محمد عليه الصلاة والسلام أن يقتدوا به في ذلك ؛ فلا يطعموا إلا الطيبات ولا يشربوا إلا الطيبات وأن يبتعدوا عن كل خبيث .

" ثم ذكر الرجل " .. أي النبي عليه الصلاة والسلام " يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب " .. ذكر هنا عليه الصلاة والسلام أموراً أربعة كلها من أسباب إجابة الدعاء . يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب . فهذه كلها أسباب للإجابة

• السبب الأول : إطالة السفر ؛ فالسفر بذاته من أسباب الإجابة كما قال عليه الصلاة والسلام " ثلاثة لا ترد لهم دعوة .. " وذكر منها دعوة المسافر ؛ فالسفر مظنة إجابة الدعاء وإذا طال السفر كان الأمر أيضاً أعظم ، وهنا قال " يطيل السفر " أي يسافر سفرًا طويلاً ، ومن المعلوم أن السفر يحصل به انكسار العبد ، ويحصل به أيضاً رقة قلبه ، و تطامنه وتواضعه فهذا من أسباب الإجابة .

• ثم ذكر الصفة أو السبب الثاني لإجابة الدعاء ؛ قال " أشعث أغبر " .. وهذا فيه إشارة التواضع في اللباس والتطامن ؛ فهو بهذه الصفة - أشعث أغبر - أي لباسه وهيئته هيئة متواضعة ليس من أهل الخيلاء أو الكبر بل هو في هيئة متواضعة ، قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر " رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره " .
فهذه الهيئة هيئة متواضعة وهذا من أسباب الدعاء .

• ثم ذكر عليه الصلاة والسلام السبب الثالث قال " يمد يديه إلى السماء " .. ورفع اليدين من أسباب الإجابة كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث سلمان « إن الله تعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً خائبين » .

فرفع اليدين من أسباب الإجابة لأن مد اليدين نوع من الذل والافتقار والانكسار بين يدي الله جل وعلا وإظهار الفاقة والافتقار إليه والاحتياج إليه هيئة السائل المسكين المحتاج الفقير .

" يمد يديه إلى السماء " .. وهذا فيه الإيمان بعلو الله كما قال الله تعالى في سورة الملك ﴿ ءَأَمْنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي الله ، وفي حديث الجارية قال صلى الله عليه وسلم أين الله ؟ قالت في السماء ، وفي الحديث الآخر قال « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ؛ أي الله .

فمد اليدين إلى السماء أي مدهما إلى الله لأن الله فوق السماوات وفوق عرشه جل وعلا ، في القرآن الكريم قال الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، وقال تعالى ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ . فالعلو صفة ثابتة لله جل وعلا دل عليها القرآن ودلت عليها السنة وأجمع على إثباتها أهل العلم ودلت عليها الفطرة السليمة والعقول المستقيمة . فهي صفة ثابتة لله ، والآيات المقررة لهذه الصفة كثيرة ؛ قال تعالى ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ، ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ ، ﴿ الكبير المتعال ﴾ ، ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ، ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ .. ؛ فالآيات المقررة والنصوص المقررة لعلو الله جل وعلا على خلقه كثيرة .

والذي لا يؤمن بعلو الله ولا يثبت علو الله ؛ ليس أمامه إلا عقيدتين فاسدتين باطلتين ضالتين ؛ فإما أن يقول : الله في كل مكان والعياذ بالله ؛ وهذه عقيدة من أفسد العقائد ، ليس فيها تعظيم لله ولا قدره سبحانه وتعالى حق قدره ، ولا يقول ذلك من حقق الإيمان باسم الله الطيب الذي الطيب وصفه فيقول الله في كل مكان ؟ والأمكنة فيها الطيب وفيها الخبيث ، فيها الحسن وفيها الفاسد ، فيها النظيف وفيها القذر ؛ فكيف يقول قائل الله في كل مكان ؟ فأين تنزيه الله سبحانه وتعالى ؟ وتقديسه جل وعلا ؟ فهذه عقيدة فاسدة ومصادمة للقرآن ؛ فالقرآن فيه مئات الآيات المقررة لعلو الله جل وعلا على خلقه .

والعقيدة الثانية : أن يقول - والعياذ بالله - أن الله لا فوق العالم ولا تحت ، ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه ؛ وهذا عدم ؛ ولهذا قال العلماء قديماً : المعطل يعبد عدماً .

والإيمان بعلو الله هو إيمان بالقرآن وإيمان بالسنة وبما أجمع عليه أهل العلم وبما دلت عليه الفطرة السليمة والعقل المستقيم ؛ ولهذا قال " يمد يديه إلى السماء " ، وفي حديث سلمان " إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه " ؛ لأن " رفع يديه " .. هذا إيمان بعلو الله ، وأما الذي يقول الله في كل مكان فما معنى رفع اليدين ؟

فرفع اليدين فيه إيمان بالعلو ؛ ولهذا إذا كان الأمر شدة وابتهاال - مثل صلاة الاستسقاء - يزيد الإنسان في رفع اليدين ويبالغ في الرفع كما كان يفعل ذلك النبي عليه الصلاة والسلام حتى يُرى بياض

إبطيه صلى الله عليه وسلم ، فقوله " يمد يديه إلى السماء " فيه إيمان بعلو الله سبحانه على خلقه علو يليق بجلاله وعظمته .

• السبب الرابع لإجابة الدعاء في هذا الحديث في قوله " يارب يارب " ؛ والحقيقة أن هذا فيه سببين للإجابة :

* الأول التوسل إلى الله بأسماءه الحسنى ؛ وهنا توسل إلى الله باسمه يا رب - الرب . ، وأكثر دعوات الأنبياء المذكورة في القرآن فيها التوسل إلى الله بهذا الاسم . يارب ، ربنا ، رب . . وهذا فيه الإيمان بربوبية الله لخلق ، وهي عامة وخاصة :

الربوبية العامة بالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة .. إلى غير ذلك . والربوبية الخاصة هي التربية على الإيمان والتوفيق للطاعة والهداية لهذا الدين والاصطفاء والاجتباء وهذه خاصة بعباد الله المؤمنين وأوليائه المقربين .

قد قال بعض أهل العلم إن سبب كثرة توسل الأنبياء إلى الله بهذا الاسم استشعاراً منهم للتربية الخاصة والاصطفاء والاجتباء الذي أكرمهم به الرب سبحانه وتعالى .

* السبب الآخر للإجابة : التكرار والإلحاح على الله ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً ﴾ ؛ فهنا تكرار وإلحاح . يارب يارب . يكرر الدعاء والمناجاة والسؤال والطلب .

فهذه كلها أسباب للإجابة فعلها هذا الرجل وهي :

الأول : إطالة السفر ، الثاني : كونه أشعث أغبر ، الثالث : أنه يمد يديه إلى السماء ، الرابع : أنه يتوسل إلى الله بأسماءه ، الخامس : أنه يلح ويكرر الطلب .

فهذه كلها أسباب لإجابة الدعاء ، فعلها وبذلها وتحققت من هذا الرجل ؛ ولكن النبي عليه الصلاة والسلام استبعد إجابة دعائه ؛ لماذا ؟ قال عليه الصلاة والسلام : " ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّي بالحرام فأني يستجاب له " مع كون هذا الرجل تحققت له الأسباب الكثيرة لإجابة الدعاء استبعد النبي عليه الصلاة والسلام أن يستجاب له .. لم ؟ قال " ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذّي بالحرام » أي تربى جسمه ونمى على الحرام ، وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام " كل جسد قام على السحت فالنار أولى به "

وغذّي بالحرام : أي تربى جسمه ونمى على الحرام .

" فأني يستجاب لذلك " .. هذا أراد به عليه الصلاة والسلام استبعاد الإجابة ، أي أن إجابة من كانت هذه حاله مستبعدة .

فإطابة المطعم والمشرب والملبس من أسباب الإجابة ، وعدم إطابة المطعم والمشرب والملبس من أسباب عدم الإجابة ؛ ولهذا استبعد النبي عليه الصلاة والسلام ذلك ، وقد جاء عن بعض السلف أنه قال " لا تستبطن الإجابة وقد سددت طرقها بالذنوب " سواءً كان الذنب أكل حرام أو شرب حرام أو لبس حرام ، أو كان الذنب ترك واجب مما أوجبه أو افترضه الله عليك ، أو كان الذنب فعل شيء من المحرمات والكبائر ؛ فهذا كله من أسباب عدم الإجابة ؛ ولهذا قيل " أطب مطعمك تُحب دعوتك " .

فيحرص المسلم على الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس ، ولا يغذي نفسه إلا بالطيب ؛ فهذا من أسباب الخير والفلاح ومن أسباب إجابة الدعاء وقبوله .

فهذا الحديث العظيم جمع فيه نبينا عليه الصلاة والسلام أسباباً لإجابة الدعاء وذكر فيه أيضاً موانع إجابة الدعاء ؛ وهذا يُستفاد منه أن لإجابة الدعاء أسباباً ولعدم إجابته أيضاً أسباب ، وذكر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث من أسباب الإجابة ومن موانع الإجابة ؛ فهذا حديث من جوامع كلم نبينا صلوات الله وسلامه عليه .

قال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله في شرح الحديث :
[الأول: قوله « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً » يدل على أن من أسماء الله الطيب ، ويقبل من الأعمال ما كان موصوفاً بالطيب ، وهو عام في جميع الأعمال ومنها الكسب فلا يعمل المرء إلا صالحاً ولا يكتسب إلا طيباً ولا ينفق إلا من الطيب] .

الشرح..

قوله عليه الصلاة والسلام " إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً " ؛ يدل على أن الطيب اسم من أسماء الله الحسنى وأن الطيب صفة لله ، وإذا قلت في التحيات : التحيات لله والصلوات والطيبات ؛ عليك أن تحقق ذلك أي عندما تقول "الطيبات لله" عليك أن تحقق ذلك ، فالطيبات من الصلوات والدعوات والأذكار والصدقات والأعمال الصالحات ؛ كلها لله سبحانه وتعالى وحده ، وكذلك الطيبات لله أي أن أفعاله وأوصافه كلها طيبة ؛ فتقرر ذلك وتحقق الإيمان به والعبودية لله تبارك وتعالى بذلك ؛ فالله عز وجل فاسمه الطيب وصفاته كلها طيبة وأفعاله كلها طيبة ولا يقبل إلا طيباً ؛ أي لا يقبل من الأعمال إلا الطيب ، والعمل لا يكون طيباً إلا إذا كان لله خالصاً

وللسنة موافقاً ، إن لم يكن لله خالصاً فهو شرك لا يقبله الله ، وإذا لم يكن للسنة موافقاً فهو بدعة لا يقبله الله .

ويدخل في ذلك الكسب ، وعليه فإن المسلم ينبغي له أن يحرص أن تكون أعماله كلها صالحة ومكاسبه كلها طيبة ، وقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام كل يوم بعد صلاة الصبح يدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً صالحاً » ؛ فهذه دعوة طيبة عظيمة نافعة يجدر بكل مسلم أن يواظب عليها كل يوم بعد صلاة الصبح .

[ثانياً قوله « وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين » فقال ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ ، وقال ﴿ يا أيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ في الآيتين أمر المرسلين والمرسل إليهم بالأكل من الطيبات ، وكما أن المرسلين لا يأكلون إلا الطيب فإن على أتباعهم أن لا يأكلوا إلا طيباً] .

شرح الشيخ :

في قوله " إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين " ذكر هنا قدوة العباد في الخير وهم الرسل ، قادة الناس إلى كل خير وفضيلة " وما بعث الله من نبي إلا دعا أمته إلى خير ما يعلمه لهم وحذرهم من شر ما يعلمه لهم " ؛ فالأنبياء هم قدوة الناس ، وهم أئمة الهدى ، وهم الأسوة والقدوة في كل خير ؛ فذكر هنا القدوة فقال " إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين " ؛ وهذا فيه تنبيه للمسلم إذا أكلت الطيبات وحرصت على الطيبات ولم تتغذ إلا بالطيبات فقدوتك من ؟ الرسل ؛ فأنت سائر على منهاجهم ، أنت على طريقة صفوة الخلق وخيار عباد الله ، إذا كان المسلم لا يأكل إلا الطيبات ولا يطعم إلا الطيبات ولا يلبس إلا الطيبات ؛ فقدوته صفوة خلق الله وهم رسله . وإذا كان الإنسان والعياذ بالله يأكل الخبيث ويطعم الخبيث ويلبس الخبيث ؛ فقدوته من ؟ قدوته إبليس قدوته الشيطان قدوته شرار الخلق ؛

وإذا كان الرسل لا يأمرهم إلا بالطيبات فالشيطان لا يأمر أتباعه إلا بالخبائث ؛ ولهذا شرع لنا إذا دخل أحدنا إلى الخلاء أن يقول " اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث " فالشيطان خبيث وما يدعوا إليه الخبيث ، والرسل هم أهل الطيب ، وما يدعون إليه هو الطيبات ؛

فالذي لا يأكل ولا يشرب إلا الطيب مقتد بالأنبياء والمرسلين ، والذي لا يأكل إلا الخبيث فهو متشبه ومقتد بالشيطان وجنوده وأعدائه .

[ثالثاً قوله « ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له » ؛ لما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يقبل إلا طيباً وأن المرسلين والمؤمنين أمروا بالأكل من الطيبات بيّن أن من الناس من يخالف هذا المسلك ، فلا يكون أكله طيباً ، بل يعتمد إلى اكتساب الحرام واستعماله في جميع شؤون من مأكّل وملبس وغذاء وأن ذلك من أسباب عدم قبول دعاءه مع كونه أتى بأسباب قبول الدعاء وهي في هذا الحديث أربعة : السفر مع إطلاته وكونه أشعث أغبر وكونه يمد يديه بالدعاء وكونه يناد الله بربوبيته مع إلحاحه على ربه بتكرار ذلك . ومعنى قوله فأنى يستجاب لذلك استبعاد حصول الإجابة لوجود الأسباب المانعة من قبول الدعاء] .

الشرح..

عرفنا أنه اجتمعت خمسة أسباب لإجابة الدعاء ؛ ومع توافر هذه الأسباب واجتماعها في هذا الرجل السفر مع إطلاته وكونه أشعث أغبر وكونه يمد يديه بالدعاء وكونه يناد الله بأسمائه و مع إلحاحه على ربه بالتكرار ؛ استبعد النبي عليه الصلاة والسلام أن يستجاب له ؛ لماذا ؟ قال " مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يُستجاب له " : المطعم الحرام سواء كان محرماً في ذاته . مثل الميتة والخنزير ونحو ذلك ، أو كان محرماً بوسيلة الحصول عليه كأن يأخذ المال سرقة أو انتهاباً أو بالغش أو بالبيع المحرمة كالمراعاة ، وهكذا أيضاً في المشرب سواء كان المشرب محرماً في ذاته . مثل الخمر . أو محرماً في وسيلة تحصيله كأن يسرق شيئاً من المشروبات أو يشتري شيئاً منها بمال حرام ، وكذلك الملبس الحرام سواء كان حراماً في ذاته ، مثل لبس الذهب والحرير للرجال أو إسبال الثياب وهذا أمر يغفل عنه كثير من المسلمين بسبب الجهل وقلة العلم مع أن الأحاديث في ذلك كثيرة جداً ؛ ومع ذلك ترى كثيراً من الرجال لا يبالي بذلك والسبب قلة العلم وقلة التبصير في بلدانهم بهدي النبي عليه الصلاة والسلام ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث كثيرة في التحذير من الإسبال ، والإسبال هو أن ينزل رداء الإنسان أو ثوبه أو سرواله أو شيء من ملابسه عن الكعبين . أسفل الكعبين . ؛ قال عليه الصلاة والسلام « ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار » وقد رأينا بعض الصالحين والأفاضل ممن لم يبلغوا هذا الأمر ولم يسمعوا به عندما سمع السنة أمسك بثوبه

الذي كان طويلاً لريثما يذهب إلى الخياط لرفعه ؛ حرصاً على عدم المخالفة من حين بلغته السنة وهذا من أمارات الخير وشدة الرغبة والحرص للإقتداء والبعد عن الحرام .

وجاء في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولا يزيكهم ولهم عذابٌ أليم .. وذكر منهم المسبل إزاره » ؛ فإسبال الإزار أمرٌ محرم ومنهيٌّ عنه نهيٌّ عنه النبي عليه الصلاة والسلام .

الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طعن في صلاة الفجر وهو يصلي ؛ جاءه غلام وقال له " هنيئاً لك يا أمير المؤمنين صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهدت في سبيل الله .. " ، وكان ثوب الغلام يلمس الأرض ، وعمر رضي الله عنه الدم يثعب من بطنه ويغمى عليه فيفيق ؛ فرأى ثوب الغلام يلامس الأرض فقال : " يا غلام ارفع ثوبك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك " إذا رفعت ثوبك تكون قد اتقيت الله لأنك فعلت الشيء الذي أمرك الله به وأيضاً أنقى لثوبك إذا كان ثوبك يلمس الأرض ؛ فهذا عرضة لتلفه وعرضة لعدم حصوله على النقاء .

فإسبال الإزار أمر محرم وينبغي على الرجل أن يتقي الله سبحانه وتعالى - كما قال عمر - . وأن يحافظ على ما وجهه إليه النبي عليه الصلاة والسلام .

وكذلك فيما يتعلق باللباس المحرم الحذر من ألبسة الكفار التي هي من خصائصهم ؛ ومن ذلك البناتيل الضيقة التي إذا لبسها الإنسان وصفت عورته وحجّمت عورته ، أما إذا كان البنطال واسع وفضفاض والقميص من فوقه فهذا لا بأس به ، لكن البنطال الضيق الذي إذا أراد صاحبه أن يلبسه يحتاج إلى وقت حتى يتمكن من لبسه من شدة ضيقه عليه فيصف العورة ويحجمها فهذا لا يجوز ، وبعضهم يأتي إلى المسجد بهذا البنطال ويكون القميص الذي يلبسه قصيراً ثم إذا سجد انحسر من خلفه وبدأ جزءاً من عورته ، ثم يسجد لله ويدعوه ويناجيه .. ، وعورته مكشوفة ..! كيف يفكر هؤلاء !

فالواجب على المسلم أن يتقي الله في لباسه ، لما يسجد أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد ثم هذا يسجد على هذه الصفة وعورته مكشوفة للذاهب والرائح !! جزء من عورته المغلظة مكشوف !! الجزء الأعلى من إلبته قد ينكشف ؛ فهذه والله مصيبة .. أقوله بهذا التفصيل لأنه شيء مؤلم يُرى أحياناً في المساجد ، فهذا أمر يجب أن نتقي الله عز وجل وأن نترّبى وأن نتأدّب وأن نراعي في ألبستنا

ولهذا المسلم إذا احتاج إلى البنطال يلبس البنطال الواسع ويكون القميص الذي فوق البنطال طويلاً ؛ ففائدة القميص إذا كان طويلاً أنه أكثر سترًا وحشمة ، والناحية الأخرى إذا سجد يستر ويغطي .

فأمر اللباس ومراعاة آداب الشريعة فيه هذا أمر مطلوب ينبغي أن يراعيه المسلم ، ويلتحق بذلك أيضاً الحذر من التشبه بغير المسلمين فيما يتعلق بالشعر ؛ الآن تجد كثيراً من الشباب والشابات ليس له هم إلا النظر في طريقة قص الشعر وما يسمى بالموضات ومحاكاة الكفار ، وكل ما فعلوا من قبيح وذميم وجد من تشبه بالكفار به ؛ قال عليه الصلاة والسلام " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً ذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " ؛ ولهذا ترى في بعض الحالات - وهو نوع من التشبه المنهي عنه - ترى بعض الرجال يخالف هدي النبي عليه الصلاة والسلام فيما يتعلق باللحية والشارب فيطيل شاربه إطالة عجيبة ويخلق لحيته ؛ مع أن الثابت عنه عليه الصلاة والسلام عكس ذلك ؛ حيث قال "وفروا للحى وقصوا الشوارب" ؛ فتجده يفعل خلاف ما دعى إليه عليه الصلاة والسلام . وبعض الرجال ما يكتفي بالحلق ؛ بل يفعل ما يسمى بالخيط حتى يكون خده ناعماً والعياذ بالله !! عائشة رضي الله عنها كانت إذا أرادت أن تحلف تقول " والذي زين الرجال باللحى " ؛ فتجد بعضهم يبالغ وربما أيضاً بعض الرجال يأخذ من الأشياء التي تضعها النساء على خدها مما يحمر الخد ويصفره ويجمله فيضعه على خده ، وبعضهم يطيل الشارب إطالة ذميمة بحيث ينزل شاربه على فمه ويغطي فمه وينزل بشكل بشع من الجانبين وبشكل مؤذي وهذا خلاف الفطرة قال عليه الصلاة والسلام " خمس من الفطرة " وذكر منها "قص الشارب" - فتجده يطيل شاربه إطالة سيئة جداً وهذا مؤذٍ لنفسه ومؤذٍ لغيره لأن إيذائه لنفسه ربما تتعجب منه تقول إذا أراد أن يأكل أو يشرب كيف يفعل ؟ .. إذا كان بيده ملعقة فيها الإيدام والشارب نازل على الفم كيف يشرب الإيدام ؟ يؤذي نفسه بهذا الشارب .. وربما يحتاج إلى ملعقتين ؛ ملعقة يشرب بها وملعقة يرفع بها شعر الشارب حتى تجد الملعقة طريقاً إلى فمه ، وعندما يريد أن يقبل طفله الصغير ؛ من لا يرحم لا يرحم إذا أراد رحمه في صبيه الصغير أتى ليقبله ثم قبله على خده بهذا الشارب الغليظ الخشن ماذا سيقول الصغير ؟ هل هذه رحمه في حقه أم أذى ؟ الصغير يقول ليت الله أراحنا من هذه القبلة ، يؤذي نفسه ويؤذي الآخرين ، أما زوجته فلا تسأل عن حالها مع هذا الزوج الذي بهذه الصفة وهذه الهيئة -

وهذا كله بسبب المجانبة والمخالفة للفطرة ، الفطرة والسنة لا تأتي إلا بخير لكن الشيطان إذا عبث في عقل الإنسان غيّر الأمور وجعل عنده القبيح حسناً والحسن قبيحاً والواجب على المسلم أن لا يتبع خطوات الشيطان وأن يبقى على الفطرة السليمة وعلى السنة القويمية ؛ هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

وهنا في هذا المقام . مقام المطعم الحرام والمشرب الحرام . لا ننسى أن ننصح المبتلى بالدخان أن يتقي الله عز وجل وأن يتوقف عن تعاطيه ، فالدخان شر وبلاء وضر وأذى وإهلاك للنفس وإضاعة للمال وإضرار بالصحة وإيذاء للآخرين ومعونة للأعداء ؛ لأن أكثر شركات بيع الدخان شركات كافرة . من يهود وغيرهم . فالواجب على المدخن أن يتقي الله عز وجل وأن يتوقف عن التدخين تماماً ، ويُقي نفسه نقياً طيباً طاهراً نظيفاً بعيداً عن خبث الدخان والدخان من الخبائث وهو محرم بدلالة كتاب الله وسنة نبيه وقواعد الشريعة ؛ لأن هناك أدلة في الكتاب والسنة تدل بعمومها على حرمة . كما قرر ذلك أهل العلم والبصيرة بدين الله . فيترك هذا المؤذي ويتقي الله عز وجل في نفسه ويتقي الله عز وجل في إخوانه ، فبعض المدخنين ربما يطفئ سيجارته عند باب المسجد ، وهذا يحصل كثيراً في شهر رمضان في صلاة المغرب ثم يؤذى المسلم وهو ساجد بهذه الرائحة ، رائحة الدخان المؤذية المضرة ..

فهذا الحديث العظيم يربي المسلم على الفضائل والكمالات والخيرات حتى يصبح المسلم طيباً في طعامه ، طيباً في شرابه ، طيباً في لباسه ، طيباً في حياته ، طيباً في أعماله ، وتكون دعواته مستجابة ، وأعماله صالحة ومتقبلة ، وبعيداً عن سفاسف الأخلاق و رديء الأمور و سيئها ، فيكون في عالي المقامات ورفيعها .

ولننتبه إلى الخاتمة التي ختم بها النبي عليه الصلاة والسلام بها هذا الحديث ؛ قال " فأني يُستجاب لذلك " فهذا فيه تحذير شديد جداً من مثل هذه الأمور التي تضر بالإنسان وربما كانت مانعاً من أن يُقبل دعاءه وأن يتحقق له رجاءه .

[رابعاً مما يستفاد من الحديث :

الأول : أن من أسماء الله الطيب ؛ ومعناه المنزه عن النقائص ، وأن من صفاته الطيب ، لأن أسماء الله كلها مشتقة ، وتدل على صفات مشتقة منها .

الثاني : أن على المسلم أن يأتي بالطيب من الأعمال والمكاسب .

- الثالث : أن الصدقة لا تُقبل إلا من مال حلال ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول " . رواه مسلم
- الرابع : تفضل الله على عباده بالنعم ، وأمرهم بأن يأكلوا من الطيبات .
- الخامس : أن أكل الحرام من أسباب عدم قبول الدعاء .
- السادس : أن من أسباب قبول الدعاء السفر ، وكون الداعي أشعث أغبر .
- السابع : أن من أسباب قبوله أيضاً رفع اليدين بالدعاء .
- الثامن : أن من أسبابه أيضاً التوسل بالأسماء .
- التاسع : أن من أسبابه الإلحاح على الله فيه .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلّم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

* * *